ضياء العزاوي

حين الرسام أمام رموز الأشياء

معرض ضياء العزاوي
في رواق بريطاني

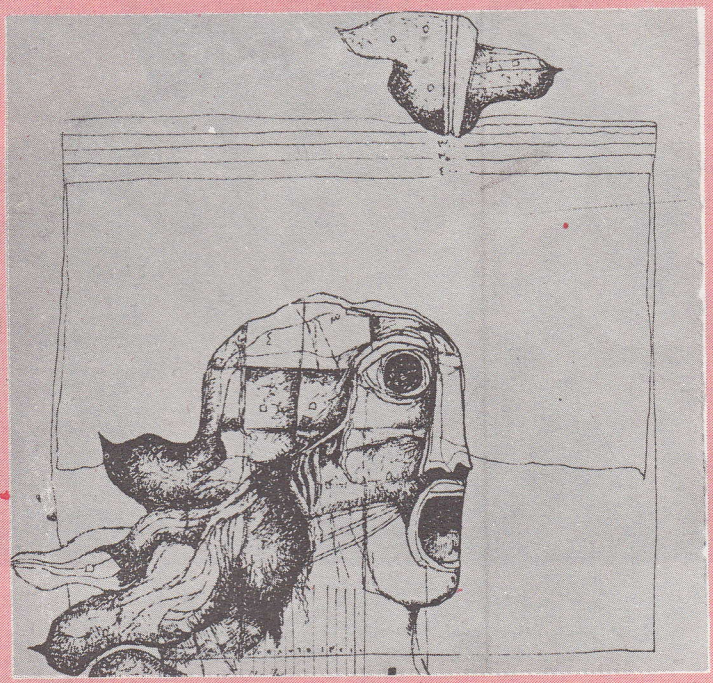

في الخامس والعشرين من نيسان الماضي اقام رواق (كاليري) باتريك سيل في لندن معرضاً شخصياً للفنان العراقي ضياء العزاوي وقد ضم المعرض اربعين لوحة رسمت بالزيت والغواش كما ضمت اعمالاً بالحفر وطباعة السكرين . وتمثل هذه الاعمال بمجموعها آخر ما انتج الفنان العزاوي في لندن حيث يواصل دراسته العليا .

وقد كتب المعلق الفني لصحيفة (ارتس ريفيو) مقالاً اشار فيه الى ان نتاج العزاوي الاخير امتاز باستخدامه الموسع للمقاطع الشعرية العربية والحرف العربي وخاصة ما يتعلق بالنضال الثوري للشعب العربي . وقال ان من ابرز الاعمال في هذا الميدان مجموعة تخطيطات تحت عنوان قصائد اعتمدت على مقاطع من اشعار محمود درويش والطاهر بن جلون . وذكر المعلق « ان ما لفت انتباه النقاد البريطانيين تلك الاعمال التي استخدم فيها تكوينات شخصية ضمن مقاطع صحراوية ، حيث تمكن فيها الفنان من تحقيق علاقة لونية جميلة تنسجم مع التكوين الفني الذي استخدمه » .

وهذه قراءة لبعض لوحات ضياء المعروضة كما وردت الينا مطبوعة بالالوان هدية من المركز الثقافي العراقي في لندن .

— التحرير —

• « لقد اثارتني كل التجارب العالمية كما اثارني التاريخ الحضاري لوطني ولكنني لم اجعل من نفسي عراقاً يستحضر التاريخ لفهم المستقبل وانما انساناً منح نفسه روح الوطن في رحلته لفهم العالم ، ومن خلال هذه الرحلة منحت نفسي حرية التجربة بكل مافي هذه الحرية من سقوط ونجاح » .

ضياء العزاوي

١ — تكمن حلول الرسام في تجريبه المتواصل . ان تعامله الدائم مع اسرار الخط والتكوين والمشاهدة تمكنه من تأسيس المنهج الشخصي واخضاع تفاصيل الواقع . من العسير اكتشاف رموز الاشياء منذ الوهلة الاولى ، ان الدلالة تبقى غائبة محاطة بالسر الازلي . سر الوجود النفسي وسر الحركة . وحين يمسك الرسام بمعوله ليزيح ركام النقائض نعترف له بامتلاك تميمة الاندهاش ومتعة الاكتشاف الاول .

ليس ثمة فعل ثانوي سوى الصمت . الامتناع عن الاصغاء والتبصر فقط . المعرفة بالخطوط . المعرفة بالاشكال وصياغة الحس وفق فكرة الرسم . ولكن ما نستطيعه امام ورقة بيضاء لكي نشرح ليس هو الحل .. ان المشكلة الاساسية تبقى قائمة نترك تفاصيلها للرسام .

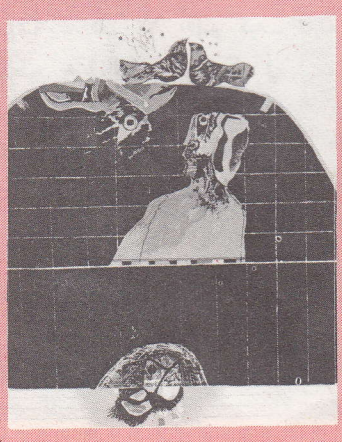

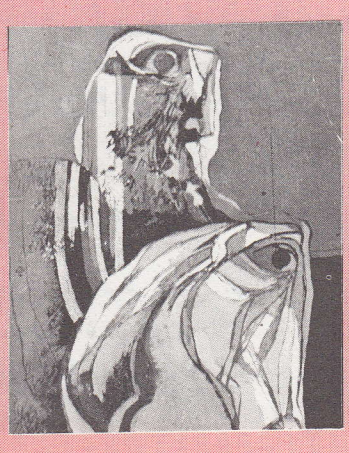

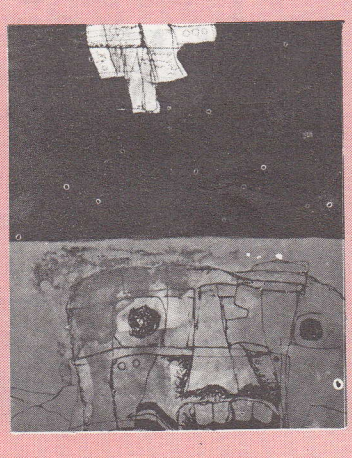

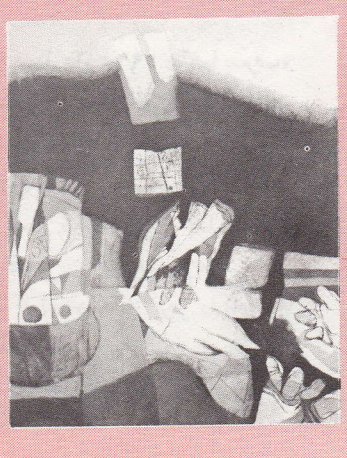

١٩٧٨/٥/٢٩

٢ — لعل احالة الرسوم الغامضة الى الرسم ليس لاجل استخدامها كتفاصيل أو اضافة اثرية . انها على اية حال مناخ للتطور وخيط موصول بالجذور .

اما الموضوعة الاخرى فتكمن في مشاهدة الرسام لتجارب غيره. ان المعرفة الاصيلة بالاشياء واسرار الرسم ليست معرفة ذاتية مقطوعة ثمة انحياز في البحث وقلق في المصادر الاولى .. واكتشافات متتابعة تأتي في موضع الفعل ومواجهة الاشكال : « لان الرسم حاجتي اليومية ، فان الرؤية تظل تطاردني واظل في حاجتي هذه مسافراً دونما استقرار » — ضياء .

• علق احد النقاد الاجانب على لوحات ضياء العزاوي قائلاً :

« لقد بعثت بي هذه اللوحات حيرة حقيقية — انني لا أفهم كيف يستطيع هذا الرجل ان يجمع في اللوحة الواحدة كل تلك التأثرات وكل تلك التناقضات . ان الحداثة المتطرفة تتجاور والتراث الغابر ».

• ماضي الرسام :

• الانطباعات الاولى [illegible]

المشاهدة . ليس هناك مصدر موثوق يؤكد ذلك ولكنها الحالة العامة — حالة الرسام ومصادره الاولى .

وبالنسبة لضياء العزاوي اضيفت مسألة اخرى — دراسة التأريخ والهجرة في هياكله ومدنه الخربة « رؤية التماثيل المحطمة والاصابع المقطوعة والولع بأشكالها والبحث عن قدرة الكائن الخالق وحضارته»

ليست التجربة في ايجاد التقنية وامتلاك القدرة على التشكيل ، ان الرسم محاولة عقلية لنقل الواقع واعادة خلقه — تتدخل الافكار وتضاف الرؤية (بالمعنى البصري) وتشترك في ذلك ارادة الرسام ووضعه الشخصي ومؤثرات المرحلة الزمنية .

ان رسوم العزاوي الاولى تبدأ من ممارسة انطباعية قلقة — خطوطه الاساسية نعترف لها بقدرة التعبير ونهج الفلكلور الشعبي ومعاينة الرموز اليومية بدقة .

يقول الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا « ضياء العزاوي فنان متكامل :

رحلته عبر رسومه تتصل اجزاؤها ومضامينها ضمن الرؤية الانسانية التي توغل بعداً وتوغل احياناً ظلاماً . لتعود بما يضمن له التأكيد على حسه بالتوتر والفرح » .

اعماله الاولى مغامرات في نقل المشاهدة . انه يحيط مناظره بتفاصيل تزيينية محوره وديكورات مترفة وتختفي نماذجه الانسانية

المجردة خلف اقنعة صامتة . انها في صمتها تشبه التماثيل المستعدة ابداً للتصوير في حركة واحدة وزاوية منفردة .

• هل نستطيع ان نكتشف خيط البحث والتحول في اعماله الاولى. انها مشكلة ولا يمتلك الناقد امامها سوى بضعة شواهد عابرة .

• يقول ماتيس :

« امام لوحاتي ادرك بالضبط العلاقة بين احداثها واقدمها . بينما افكاري تتعرض من يوم لآخر الى التبدل . لكن الاصح : ان افكاري الرئيسة لا تتبدل بل تتعرض للتطور » .

• هل ان الافكار (بالنسبة للرسام) هي تجارب عقلية فحسب ام انها المحاولة التقنية ايضاً ؟

• بالنسبة لضياء العزاوي تبدو المسألة مزدوجة . لقد وضع حلاً للتناقض باستقرار افكاره . انه يعتقد : « ان المخيلة دائمة الاتجاه صوب الداخل وانها تعمل على تجميع التجارب في دائرة يمكن نظرياً توسيع حجمها بحيث تضع الماضي والحاضر جميعاً .

من جانبي ارى : ان مقدرة الفنان تتجه الى المستقبل ولعل التحول يكمن في تفاصيل التجربة والمؤثرات المتوالية .

ماضي اللوحة :

جماليات « ضياء العزاوي » ونماذجه الشعبية بدأت تأخذ دلالة موضوعية جديدة . بدأ يجتزىء المواقف ويأخذ كلاً منها على حدة . انه بتعبير اوضح بدأ يستخدم تفاصيل لوحاته السابقة ويعبر عن كل منها في عمل جديد .

ومنذ عام ١٩٦٥ « كما يعترف» بدأ يحول لوحاته من قصائد شعر تمتلك صوت المغني الى وسيلة للتحريض ووضع التساؤلات .

من ناحية أخرى بدأ الاطاري يتقمص اسلوبه ويستقر في ذاكرته — انه يرمز أكثر مما يقول ويستخدم التجريد والايحاء أكثر مما يؤشر .

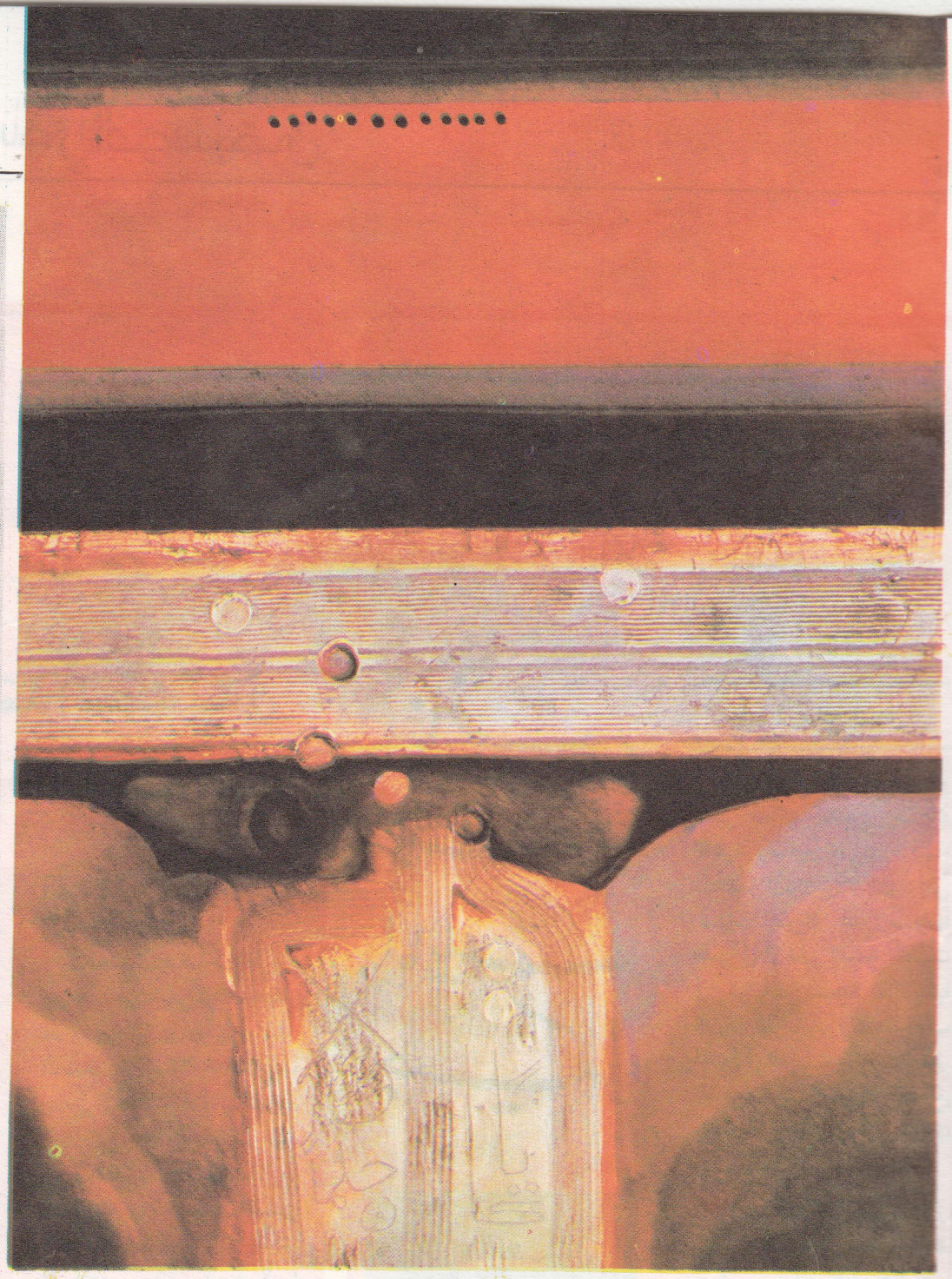

يقول ضياء : « من خلال موقف الرصد تصبح التخطيطات والرسوم السابقة مواداً انتاجية للوحة الجديدة»

وحين نبحث عن اثبات نقدي يؤشر الى المسألة السابقة نجده في تحول الرسام من الاهتمام بالمنحى الجمالي والتقني لدى « فائق حسن » الى فكرة اللوحة وموضوعها كبحث عن الذات والعالم لدى « جواد سليم » .

• ان الرؤية الجديدة تبدأ كانتماء فكري وكأسلوب تستلهم التراث باشاراته المتعددة الاسلامية والعراقية القديمة وتستفيد من تكوين المعمار الشعبي وخصائصه في بنائية اللوحة . وتلتحم (كفكرة) بمصادر الواقع وقضية الانسان .

خصائص

• يؤخذ على ضياء العزاوي احياناً افتقاره الى حالة الرسم . انه (واجد ذلك في صالحه) رسام مواضيع .

بقدر تأزمه العاطفي ووضوح اشكاله والرموز المحيطة بهـا يبقى غامضاً او محدداً في دائرة ما . ليس بامكانه الخروج عنها او البقاء فيها يعيد احياناً بعض تفاصيله السابقة ويستفيد من امكانية الحرف كبعد تشكيلي والملامح الزخرفية كقيمة جمالية . ولكن التكرار البطيء الثابت يوحي للمشاهد — رغم ولعه واعترافه بقدرة الرسام — انه قد رأى اللوحة من قبل .. ولكن أين ؟

اهم اعماله تلك التي فسر بها بعض الحكايات والاساطير الشعبية انه يعيد صياغة الحدث الادبي بروحية رسام مترف . وفي احيان كثيرة يتغلب الوعي الجمالي على فكرة الموضوع ويجردها من مبرر استخدامها . انها تبقى بالنسبة للرسام تجربة لاختبار اسلوبه وتدريب مخيلته استعداداً لاعمال قادمة .

ملاحظة : من الممكن بخصوص الموضوع آنف الذكر مراجعة رسوم العزاوي في مجموعة قيثارة الريح واعمال غسان كنفاني الكاملة وغيرها .

تحولات

في اعمال العزاوي الاخيرة التي عرضت في بغداد (ضمن معرض الستة ومعرض الكرافيك العربي) نستطيع ان نجد مجموعة الخصائص (ان لم نقل المشكلات) المميزة لاعمال العزاوي .

انه يجهد نفسه باحثاً عن الموضوع وحين يخفق في العثور يلتجيء الى رموزه الاثيرة المتداولة ويعيد ترتيبها .

ان مراقبة جديدة لاعماله تجعلنا نكتشف حتى اسلوب الخط وطريقة وضع اللون واستخدام الفراغ او ترتيب الحروف والارقام المقلوبة .

ان رجل الآثار الدقيق والمحافظ يعود ليمسك باصابع الرسام ويتدخل في صياغة انفعاله واندفاع مخيلته.

• ان الجمجمة الفارغة (التي كانت تفرض حضورها القلق في معرض حلاات آذار ١٩٧٥) بدأت تتحول الى وجه يمتلك ملامحه ويعبر عن رفضه او سكونيته.

• هل نقول ان ثمة تطوراً في استخدام الرموز الاثيرة وتفاصيل التجربة ام ننتظر التحول اللاحق ولا اعتقد أنه سيأتي متأخراً .

• ان العزاوي يقول على اية حال : « تلبسني الوهم منذ ان مارست حضوري في لحظات البداية . ومنها اصبحت اعيش في حلم ان تكون الاشياء الخارجية قادرة على ممارسة الضغط لتحقيق ذاتها في معنى ما» .

سعد هادي